من موسوعات المصطلح الأدبي والنقدي

أ.د. عبد النبي اصطيف
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة دمشق

ولد النقد الأدبي العربي الحديث في حضن المواجهة مع "الآخر" "The Other"، ليتدبر بالشرح والتحليل والتفسير والموازنة والحكم نتاجاً عربياً نشأ بدوره وترعرع في المجتمع العربي الحديث في ظل المواجهة نفسها مع هذا الآخر، وهو على وجه التحديد الغرب الأوروبي. ولذا فقد كان من الطبيعي أن يستمد هذا النقد جزءاً كبيراً من مصطلحه من هذا الآخر وتقاليده الأدبية والنقدية، مما أوقعه في أزمة لامست جوانبه كلها، ولاسيما أداته أو لغته التي هي في الحقيقة أداة تفكيره وتعبيره في مختلف شؤون عملية الإنتاج الأدبي في هذا المجتمع.

والناظر في أزمة أداة النقد العربي الحديث، أو لغة المصطلح فيه، يجد أنها تطال جانب الدال Signifier الذي يضطرب اضطراباً شديداً في الإنشاء النقدي، ولايكاد يستقر في الممارسات النقدية العربية الحديثة، مثلما تطال المدلول Signified الذي يلفه الغموض في التفكير النقدي العربي الحديث وبالتالي في صور الإفصاح عنه. وأكثر من هذا فإن هذه الأزمة تزداد حدة نتيجة تنوع محددات المصطلح النقدي وتفاوت الوعي بها لدى المعنيين بالنقد العربي الحديث.

وفي مواجهة العرب المحدثين لجوانب هذه الأزمة، قام عدد من المعنيين بقضايا التفكير الأدبي في المجتمع العربي الحديث، بإعداد مجموعة من معاجم مصطلحات الأدب والنقد المستلهمة من التقاليد النقدية الغربية، بهدف توفير حد أدنى من اللغة المشتركة بين ممارسي النقد الأدبي العربي الحديث ومنتجي نصوصه، يتدبرون بها عمليات الشرح والتحليل والتفسير والموازنة والمقارنة والحكم، أي مختلف عمليات التفكير المنظم عن الأدب وشؤونه، والتي تشكّل جوهر النقد الأدبي.

وقد كان للقارىء من جهود هؤلاء نحو من عشرة [1] معاجم ظهر أولها عام ١٩٥٩، ونشر أحدثها عام ١٩٩٦، أسهم في إعدادها باحثون من شرقي الوطن العربي وغربيه، سعوا جميعا إلى تثبيت المصطلح النقدي وتوضيح دلالاته، والكشف عن محدداته المتنوعة والفنية الأدبية وفوق الأدبية.

ولاشك أن هذه الجهود مهمة ومفيدة، ولكن الغالب على معظمها أنه جهد فردي، وأنه بعيد، وللأسف، كل البعد عن عمل الفريق الخبير الذي يقوده محرر خبير

---

[1] – أنظر :

- د. ناصر الحاني ، **من اصطلاحات الأدب الغربي**، (دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩).
- د. مجدي وهبة ، **معجم مصطلحات الأدب**، (مكتبة لبنان، بيروت ، ١٩٧٤).
- د. حمادي صمود ،" معجم لمصطلحات النقد الحديث: قسم أول" ، **حوليات الجامعة التونسية** (تونس) ، العدد ١٥ ، ١٩٧٧، ص ص ١٢٥ – ١٥٦.
- د. مجدي وهبة وكامل المهندس ، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٩).
- د. جبور عبد النور ، **المعجم الأدبي** ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩).
- د. سعيد علوش ، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة** ، (مطبوعات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، ١٩٨٤).
- ابراهيم فتحي ، **معجم المصطلحات الأدبية**، (المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس/تونس، ١٩٨٦).
- د. إميل يعقوب ، د. بسام بركة، مي شيخاني، **قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، عربي – انكليزي – فرنسي** ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧).
- د. ميجان الرويلي و د. سعد البازعي ، **دليل الناقد الأدبي: اضاءة لأكثر من ثلاثين مصطلحاً وتياراً نقدياً أدبياً معاصراً** ، (الرياض ، ١٩٩٥).
- د. محمد عناني ، **المصطلحات الأدبية الحديثة** ،(الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ،١٩٩٦).
- وانظر تقويماً لمعظمها في :

د. عبد النبي اصطيف ، **في النقد الأدبي العربي الحديث ، مقدمات – مداخل – نصوص** ، الجزء الأول ، (منشورات جامعة دمشق ، ١٤١٠ – ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ – ١٩٩١ م)، ص ص (١٢١-١٣٨).

وقادر، وتدعمه مؤسسة علمية عريقة، ويتوجه إلى جمهور واسع من المعنيين بالعملية الأدبية إنتاجاً واستهلاكاً. وعندما يتذكر المرء مايتيسر للباحث العربي عامة (باستثناء دول الخليج العربي) في أي ميدان من تسهيلات بحثية ومعرفية، فإنه لايمكن الا أن يتواضع في توقعاته من الجهود الفردية، ويشفق على أصحابها مما سعوا إلى النهوض به من جهة، ويكبر من جهة أخرى جهودهم، ويشد على أيديهم ، لأن هذه الجهود الفردية جهود يحركها الإيثار والغيرية.

ومعنى هذا أن المكتبة العربية مازالت بحاجة إلى معجم موسوعي شبيه **بموسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعرية** (الصادرة عام ١٩٩٣) ، أو **بموسوعة النظرية الأدبية المعاصرة : مقاربات ، باحثون ، مصطلحات أو بدليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد** (الصادر عام ١٩٩٤)، يضم بين جنباته مجموعة وافية من المقالات المركزة عن المصطلحات والمفاهيم الأساسية في هذا الحقل المعرفي المهم، ولايكتفى فيه بمجرد وضع النظير العربي للمصطلح الأجنبي أو بالشرح الموجز البسيط لمحتواه ودلالته. ولعل حديثاً برقياً عن هذه الآثار الجمعية التي نهضت بها مؤسسات جامعية عريقة، وأعدت مداخلها مجموعة من الخبراء الثقات في حقل النظرية النقدية، وتولت تحريرها هيئات عرفت كيف توظف جهود المسهمين فيها لتحقيق هذه الإنجازات المعتبرة في عالم التأليف الجمعي، يعطي الباحثين العرب العاملين في هذا الميدان فكرة عن عوامل نجاحها.

فأما **موسوعة برنستون الجديدة للشعر والشعرية** [٢] فقد صدرت بحلتها الجديدة في نحو من ثلاثة أرباع المليون كلمة، وثمانمئة مدخل (تتفاوت في حجمها بين المدخل الموجز الذي لايتعدى بضع مئات من الكلمات، والمدخل الموسع الذي يبلغ عشرين ألفاً)، مرتبة هجائياً، كتبها فريق من الباحثين الدوليين في الشعر والشعريات الشرقية والغربية، القديمة والحديثة، يضم أكثر من ثلاثمئة وخمسين باحثاً من الحجج الثقات في ميدان الشعر ونقده، وكانت بحق ذخيرة، في غاية الغنى، من المعرفة

---

[٢] – أنظر :

The New Princeton Encyclopedia of Poetry and Poetics, Edited by Alex Preminger and T.V.F. Brogan (Princeton University Press , Princeton , 1993).

الواضحة الدقيقة عن الشعر وفنه عبر العصور وفي مختلف بقاع كوكبنا الإنساني. لقد كانت كما تصفها المقدمة :

" كتاب معرفة، وحقائق ، ونظريات ، وقضايا، وأحكام خبيرة، عن الشعر. وغرضه توفير مرجع شامل، مقارن، ومتقدم إلى درجة معقولة، ولكنه مقروء، لجميع الطلاب أو الأساتذة أو الباحثين، أو الشعراء ، أو القراء العامين المعنيين بتاريخ أي شعر في أي أدب قومي في العالم، أو بأي وجه من تقنية الشعر أو نقده. وهو يوفر مسوحا لـ ١٠٦ شعر قومي، وأوصافاً للأشكال والأجناس الشعرية ، سواء منها الكبرى أم الصغرى، التقليدية أم الحديثة العهد أو المنبثقة مجدداً، وشروحاً تفصيلية لتقنيات العروض والبلاغة، وعروضاً مجملة لجميع مدارس الشعر قديمها وحديثها، غربيها وشرقيها. إنه ييسر عروضاً متوازنة وشاملة للحركات والمسائل الرئيسية في النقد والنظرية الأدبية، ومناقشات لصلات الشعر المتعددة الجوانب والمستويات بالحقول الأخرى للنشاط والفكر الانسانيين –التاريخ، والعلم ، وعلم السياسة ، والدين ، والفلسفة، والموسيقى، والفنون البصرية (ص VIII).

والحقيقة أن قارىء الموسوعة لايمكن أن يتردد لحظة في أن يغبط محرريها على نجاحهم في مسعاهم المعرفي هذا، بل وفي أن يُهَنئهم التهنئة الحارة اللائقة على إنجازهم الرائع. فقد استطاعت هذه الموسوعة الضخمة (ذات المجلد الواحد، ذي الصفحات الثلاث والثمانين والثلاثمئة والألف)، التي نشرت أول مانشرت عام ١٩٦٥، ثم ظهرت في طبعة ثانية مذيلة بملحق موسع عام ١٩٧٤، وبعدها في طبعة جديدة عام ١٩٩٣ بعد مراجعة شاملة ومتخللة لنحو ٩٠% من مادتها، وإضافة بلغت ١٦٢ مدخلاً جديداً، أن تستجيب وعلى نحو إيجابي لمختلف التطورات التي خضعت لها التقاليد الشعرية القومية، وأساليب دراستها وتحليل ونقدها، خلال ربع القرن الأخير. وربما كان من الجدير ذكره، في معرض الحديث عن أهمية هذه الموسوعة للقارىء العربي، أن ثمة عدداً لابأس به من المداخل الموسعة المتصلة بالتقاليد الشعرية العربية ونقدها، من مثل الشعرية العربية، والشعر العربي، والعروض العربي، والشعر

العربي الأندلسي، والقصيدة، والزجل، والموشح، أعدها مختصون معروفون من غرب العالم وشرقه.

وأما **موسوعة النظرية الأدبية المعاصرة، مقاربات ، باحثون، مصطلحات**[٣] فقد صدرت عن جامعة تورنتو الكندية عام ١٩٩٣، وأعيد طبعها في أعـوام ١٩٩٣، و١٩٩٤، و١٩٩٥ ، وشارك في كتابة مداخلها نحو من مئة وسبعين باحثاً كوّنوا مـع المحررة والمجلس الاستشاري للموسوعة فريقا سعى إلـى تقديـم المشـهد النقـدي المعاصر في مقارباته الأساسية، والعاملين البارزين فيـه، فضـلاً عـن مصطلحاتـه ومفاهيمه الرئيسية ، من خلال مقالات مركزة تروي ظمأ الشـادي والخبـير معـاً، وتضعهما على بداية الطريق الصحيح لاستكشاف عوالم هـذا المشـهد وشـخصياته والأنظار التي تحكمه.

وأما **دليل جونز هوبكنز للنظرية الأدبية والنقد** [٤] فقد صدر عـام ١٩٩٤، عن مطبعة جونز هوبكنز الأمريكية ، مصـدّراً بمقدمـة مهمـة للنـاقد المعـروف ريتشاردزماكزي، وشارك في إعداد مداخله التي تتجاوز المئتين (٢٢٦ مدخلاً) نحـو من مئتي مختص استكتبوا من على جانبي الأطلسي، وسعوا مجتمعين إلى تقديم جـرد مرتب ألفبائياً لنقاد العالم الرئيسيين والمدارس السائدة في العصر الحديث فضلاً عـن العروض التاريخية للتقاليد النقدية القومية المختلفة، مع تركيز خـاص علـى المشـهد المعاصر، واهتمام معتبر بإسهام العلوم الإنسانية المختلفة في هذا المشهد، وذلك بإفراد مداخل موسعة لعدد من الفلاسفة والمنظرين السياسـيين والأنـتروبولوجيين وعلمـاء النفس الذين كان لهم إسهام مهم في تطور النظرية النقدية الحديثة.

ونتيجة الإعداد المتقن لمداخل هذا الدليل الموسوعي للشخصيات والمـدارس والحركات المهمة في هذا الحقل المعرفي المؤثر والمتنامي في آن معاً، وفر كل مدخل

---

[٣] - أنظر :

Encyclopedia of Contemporary Literary Theory: Approaches , Scholars , Terms , Irena R. Makaryk , General Editor and Compiler (University of Toronto Press , Toronto - Buffalo - London , 1993).

[٤] - أنظر :

The Johns Hopking Guide to Literary Theory and Criticism, Edited by Michael Groden and Martin Kreiswirth (The Johns Hopkins University Press, Baltimore and London , 1994.

من مداخله تغطية أصيلة موثوقة لموضوعه أعدها خبير تم انتقاؤه بعناية ومعرفة. وكالعادة، وكما هو الشأن في الموسوعتين السابقتين، تضمن كل مدخل بيبليوغرافية مختارة بالمصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها، أو التي تيسر معرفة أوسع بمختلف وجوه الموضوع المدروس.

وربما كان يجدر بالمرء في خاتمة عرضه الموجز لهذه الموسوعات أن ينبه على أن المعجم الموسوعي النقدي الذي يطمح إليه العاملون في ميدان النقد الأدبي العربي الحديث ينبغي أن تتولى إصداره مؤسسة جامعية، أو مجمعية، أو ثقافية، عامة تهمها قضية التفكير الأدبي ومسألة تطويره في المجتمع العربي الحديث؛ وأن يقوم عليه فريق منسجم من المحررين ذوي الخبرة الواسعة بتاريخ النقد العالمي وتطوراته الراهنة من جانب، وبتاريخ النقد العربي الكلاسي والحديث وتطوراته وتفاعلاته مع التقاليد النقدية الأخرى عبر العصور من جانب آخر؛ وأن يقوم بإعداد مداخله خبراء وعاملون في ميدان النقد الحديث من جميع المؤسسات والمراكز العلمية في العالم كله، كما هو الشأن في الموسوعات التي تقدم الحديث عنها، وبذلك وحده نستطيع أن نسهم بحق الإسهام المرجو في تطوير الفكر النقدي العربي الحديث على نحو يكفل استمراريته من ناحية، وتواصله مع التقاليد النقدية الأخرى من ناحية ثانية. وقد يبدو طموح كهذا أقرب إلى الأحلام منه إلى عالم الممكن في الحياة العربية المعاصرة التي تفتقر إلى التفكير فيما يمكن تسميته بالأمن المعرفي، وتحرص بالتالي على خلق آليات إنتاج المعرفة التي يحتاجها المجتمع العربي. ولكن العبرة المستفادة من تاريخ الأمم العظيمة أن العمل الدؤوب الجاد والمخلص والمثابر يستطيع أن يحول الأحلام إلى حقيقة، والطموح إلى واقع، وليس ثمة من خيار أمام العرب في هذا العصر، غير هذا العمل يتوسلون به إلى الانتماء الحق إلى عصرهم.